ISSN: 2710-8759/ EISSN: 2992-1376 | 2025/07/15 665-655 ،(02) 06 | مجلة أطراس

# العقل الغربي والآخر (الغريب) في مسرحية "عطيل" لوليام شكسبير

# The Western Mind and the Other: The Stranger in William Shakespeare's play *Othello*

**بختي البشير** [1]*،

[1] جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر

**تاريخ الاستلام** : 2024/05/11 ؛ **تاريخ القبول** : 2025/07/06 ؛ **تاريخ النشر** : 2025/07/15

**ملخص**

يهدف هذا البحث إلى قراءة مسرحية *عطيل* لويليام شكسبير وتحليلها في ضوء الصراع القائم بين العقل الغربي والعقل العربي، وذلك منذ صعود الحضارة العربية الإسلامية وحتى أفولها. وتُعد هذه المسرحية من أبرز الأعمال التي لا تزال تثير اهتمام الباحثين في مختلف أنحاء العالم بفضل بنيتها الدرامية المحكمة وتعقيد شخصياتها. وقد ارتأى الباحث أن من المفيد تناول إشكالية الصراع بين العقلين في سياق تحولات الفكر الأوروبي التي أحدثتها حركة الأنوار، لا سيما في ما يتعلق بتكوين العقل النقدي الغربي ونظرته إلى "الآخر". ويُطرح في هذا الإطار التساؤل التالي: كيف تمثل المسرح الشكسبيري هذا الصراع؟ وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها: يتصف العقل الغربي بالتنظيم والمنهجية العلمية وقدرته على التعامل العقلاني مع المشكلات بعيدًا عن الانفعالات، في حين يُقدَّم العقل العربي في المسرحية على أنه عقل غيبي بسيط، يتفاعل مع الوقائع من منظور عاطفي غير عقلاني.

**كلمات مفتاحية** :الأنوار، العقل العربي، العقل الغربي، عطيل، ياجو.

**Abstract**

This research aims to analyze and interpret William Shakespeare's play *Othello* in light of the intellectual conflict between Western and Arab modes of thought, beginning with the rise of Arab Islamic civilization and continuing through its decline. The enduring relevance of *Othello*, due to its compelling dramatic structure, continues to draw scholarly attention across the globe. This study explores the tension between the Western and Arab intellects within the broader context of the Enlightenment and the significant transformations it introduced to European thought, critical reasoning, and perceptions of the Other. The central research question posed is: How does the theatrical narrative portray the confrontation between the Western and Arab intellects? The findings suggest that the Western intellect is depicted as rational, systematic, and emotionally detached, capable of analytical problem-solving. In contrast, the Arab intellect is portrayed as mystical, simplistic, and emotionally driven, responding to events without a rational framework.

*Keywords:* Arab mind, Enlightenment, *Othello*, Western mind, Yago

DOI: https://doi.org/10.70091/Atras/vol06no02.43

. *Corresponding author's email: bachir.bakhti@univ-msila.dz



Atras Journal/ 2025, published by the University of Saida, Dr. Moulay Tahar, Algeria
This is an Open Access Article under The CC BY-NC 4.0

## مقدمة

يُعدّ وليام شكسبير من بين أعظم رواد المسرح الغربي، فقد ألّف العديد من الأعمال المسرحية التي اشتهر بها مثل مسرحية "عطيل"، التي تُعتبر من أكثر مسرحياته شهرة وتقديمًا على خشبة المسرح. نُشرت لأول مرة في عام 1622م، وطُبعت ثانية بعد ذلك بعام، مع اختلافات نصّية كبيرة مقارنة بالمطوية الأولى. لم يكن بطل مسرحية "عطيل" الإفريقي أوّل شخصيةٍ سوداءَ على خشبة المسرح، فقد ظهر على المسرح الموريون الأشرار في مسرحية جورج بيل 1588م / 1589م. جسّد شكسبير في مسرحيته مأساة القائد المغربي "عطيل"، الذي أصبح قائدًا للجيش في البندقية بفضل مهاراته الحربية وخبرته وقوّته وشجاعته، حتى وصل إلى منصب القائد الأعلى للحربية، وهو أرفع منصب يصل إليه أجنبي. لكنه أنهى حياته الزوجية بطريقة مأساوية، حيث قتل زوجته، مما أدّى إلى تدمير مكانته في المجتمع وفقدانه لقيادة الجيش، بعد أن تعرّض لمؤامرة مدبّرة.

ورغم أن أحداث المسرحية من خيال الكاتب، إلا أنه برع في تضمينها مجموعة من الطروحات الجاهزة والأفكار المسبقة، وجعل من مسرحيته وسيلة لإظهار العقل الغربي، الذي تشكّلت معالم حدوده في إطار حركة الأنوار، وقد أظهر قدرة هذا العقل على معالجة المشكلات الطارئة من خلال الإدراك والمنطق المنظّم والخبرة، مع استبعاد العواطف التي من شأنها أن تُبعد عن الحقيقة. وجعل الآخر الغريب (العقل العربي) هو الذي يمتلك السلطة، حيث يتحرّك بحرية ويملي الأوامر على العقل الغربي. في ظل هذه الظروف المتشابكة، يصل الصراع إلى ذروته ويحاول العقل الغربي أن يتخلّص من هذه السلطة، وذلك عبر سلسلة من الأحداث المتلاحقة.

عمد الكاتب إلى وضع أحداث مسرحيته في البندقية، التي تمثّل الثقل الحضاري الأوروبي، إلى جانب مدينة قبرص، التي تقع بالقرب من مركز العالم الإسلامي. هذا الاختيار يُضيف عمقًا آخر للصراع الثقافي في المسرحية. ولفهم مجريات أحداث المسرحية وما تتضمّنه من صراع مأساوي، وجب طرح الإشكالية التالية: كيف واجه العقل الغربي الآخر الغريب "العقل العربي" في مسرحية "عطيل"؟ بعد أن قدّم شكسبير شخصيات مسرحيته في إطار الصراع الحضاري والفكري، حيث استخدمها وسيلة لاختبار واستكشاف القدرات الفكرية للعقل الغربي وكيفية تعامله مع التحديات المختلفة؟ لِلإشارة، فقد درس العديد من الباحثين حول العالم مسرحية "عطيل" لشكسبير، ومن بين هذه الدراسات السابقة ما يلي:

**الدراسات الأجنبية:**

- كتاب "الشيطاني: الأدب والتجربة" لفيرني إيوان (2017م): يُقدّم الكاتب تحليلًا مفصلًا لشخصية "ياجو"، حيث يصوّرها كرمز للشر المطلق، وذلك من خلال منظور فلسفي حديث.
- دراسة "عطيل والسياسة الثقافية للإسلاموفوبيا" لسارة أحمد (2018م): وهي دراسة منشورة في مجلة *شكسبير كوارترلي*، تربط بين تمثيل عطيل كمسلم مغربي وبين الخطابات المعاصرة حول الإسلاموفوبيا.

- كتاب "روايات استعمارية / حوارات ثقافية: عطيل والجنوب العالمي" لسينغ جيوتسنا (2019م:( يبحث في كيفية قراءة المسرحية في دول الجنوب العالمي (مثل الهند وجنوب إفريقيا) كاستعارة للصراع ضد الاستعمار.
- كتاب "شكسبير والجنوب العالمي" لإينجار سوجاتا (2020م) : تدرس إنتاجات مسرحية "عطيل" في إفريقيا وآسيا، حيث تربط بين عنف "عطيل" وحروب دارفور.
- كتاب "دراسات العرق والهوية في عصر ما بعد الحركات الاجتماعية" لسميث إيان (2020م): يُقدّم قراءة في شخصية "عطيل" في سياق الحركات المناهضة للعنصرية الحديثة، وتحليل تمثيل "الأسود" في المسرح الإليزابيثي مقابل الخطابات المعاصرة.
- كتاب "رفيق كامبريدج لشكسبير والعرق" (فصل خاص عن عطيل) لطومسون أيانا (2021م): تدرس التفاعلية مع الذكورة الهشة لدى "عطيل" و"ياجو"، وتقرّر ذلك على علاقتهما بالنساء.
- دراسة "غرابة عطيل، قراءة ما بعد الكولونيالية" لأنيا لومبا، نُشرت في كتاب "شكسبير، العرق، والاستعمار" (2002م): تستكشف أنيا لومبا في دراستها كيفية تشكيل مفاهيم "الآخر" و"العرق" في أوروبا الحديثة وتأثيرها على أعمال شكسبير. وتعتبر أن هذه المفاهيم تشكّلت من خلال ثلاثة تيارات رئيسية:

1. التيار الأول: الإرث اليوناني والروماني والفكر الديني المسيحي والكتابات الوسيطة.
2. التيار الثاني: تأثير التوسّع الاستعماري الأوروبي والاتصال بالعالم الجديد في تطوير مفاهيم حول "الآخر."
3. التيار الثالث: يُركّز على الفروقات الاجتماعية داخل المجتمعات الغربية (الفرق بين الجنسين، الطبقات الاجتماعية) وتأثيرها على فهم المجتمع لنفسه وللآخر.

**الدراسات العربية:**

ـ دراسة: "البنية الدرامية في مأساة عطيل لشكسبير" لـ حسين علي الجبوري المنشورة في مجلة الجامعة المستنصرية، بغداد، قسم الآداب، 2007م:

يستكشف الكاتب تأثير الصراع الداخلي على شخصية عطيل والنتيجة التي انتهت إليها قصته.

ـ دراسة: "آليات التحليل البنيوي للنص المسرحي: مسرحية عطيل أنموذجا" لإبراهيم أحمد محمد حسن المنشورة في مجلة المشرق العربي للغات والآداب جامعة الإسكندرية 2018م.

تهدف هذه الدراسة إلى قراءة المسرحية وفق المنهج البنيوي الذي يستند إلى موت المؤلف والثنائيات المضادة.

ـ دراسة "التحول الديني والغيرية في البندقية في مسرحية تاجر البندقية وعطيل" لعنود زياد الطراونة وعلي محمد النوايسة المنشورة في مجلة آداب عين شمس سنة 2022م.

تناقش الدراسة نقد شكسبير لمدينة البندقية بشأن قبولها استخدام المنتصرين من اليهود والمسلمين في حياتها العامة لتحقيق مصالح اقتصادية، بينما تستمر في معاملتهم بشكل مهين، كما يتجلى في شخصية عطيل.

ـ دراسة "عطيل لشكسبير. منظور نفسي آخر" لهدى حسين جاسم2022م، المنشورة بمجلة آداب الكوفة العدد 52 الجزء الثاني. تسلط هذه الدراسة الضوء على مسرحية "عطيل" لشكسبير من منظور نفسي، حيث تركز على الصراعات الداخلية التي يواجهها البطل.

تعتبر الدراسة أن الغيرة والشك من العوامل الرئيسية التي دمرت علاقة عطيل بديدمونة. كما تبرز معاناة عطيل في صراعه الداخلي بين حبه لديدمونة والشكوك التي يزرعها ياجو في قلبه. تؤكد الدراسة على كيفية تأثير العوامل النفسية على سلوك الأفراد، وكيف يمكن أن تؤدي إلى نتائج كارثية.

ـ دراسة "التحولات العاملية في مسرحية عطيل لشكسبير" لعبد الصمد بسدات 2024م المنشورة بمجلة دراسات فنية. يستخدم الكاتب نموذج غريماس لفهم التحولات العاملية في فصول المسرحية، مستنتجا أن الغيرة تنبع من الحب العميق، بينما تنبع العنصرية من الكراهية، مما يؤدي إلى الصراعات الداخلية والخارجية لعطيل.

تساعد هذه الدراسات السابقة في توجيه هذا البحث نحو المسار الصحيح، بما تقدمه من منظور جديد لرؤية وفهم مسرحية "عطيل".

ولإعداد هذا البحث اعتمدت على المنهج التحليلي الذي يسهم في تحليل عناصر المسرحية بشكل شامل، بما في ذلك الشخصيات والحبكة والحوارات والتركيب الدرامي، لاستخلاص المعاني والمفاهيم المرتبطة بتصور شكسبير للعقل الغربي والآخر العقل العربي. بالإضافة إلى التأويل الذي يهدف إلى استكشاف وتفسير الرموز والتناصات والمعاني العميقة في المسرحية.

## الأدب وحركة الأنوار:

في عام 1884م، طُرح سؤال في إحدى المجلات الألمانية للقراء حول معنى التنوير الذي بلغ عمره مائة عام. حيث تقدم كانط بالإجابة عنه، بقوله: "إن بلوغ الأنوار هو خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه، والذي يعني عجزه عن استعمال عقله دون إرشاد الغير وإن المرء نفسه مسؤول عنه عندما يكون السبب في ذلك. ليس نقصا في العقل، بل نقصا في الحزم والشجاعة في استعماله دون إرشاد الغير. تجرأ على أن تعرف، كن جريئا في استعمال عقلك" (إيمانويل و محمود، 2005، ص 85).

شجعت حركة الأنوار على التفكير بحرية، والشك في الأفكار المقبولة بلا تأنيب ضمير، وعلى استخدام العقل وتقييم الأفكار والمعتقدات بناء على الأدلة والمنطق. ووضعت حدا لسيطرة الخرافة والأساطير والعقائد الدينية السحرية. ومع ذلك، تحولت الحركة التنويرية من مشروع نظري واعد يعد بتحقيق تحرير الإنسانية، إلى مشروع عملي استُغلت قيمه في سيطرة الإنسان على الطبيعة والبشر.

بدأ عصر الأنوار فعليا في القرن الثامن عشر، فعزز التحرر العقلي والفكري، بعدما حرر البشرية الأوروبية من ظلمات العصور الوسطى وهيمنة رجال الكنيسة. يعتبر "كوندورسيه" أول من بلور مشروع الأنوار بوضوح في كتابه الشهير "مخطط بيان تاريخي لتقدم الروح البشرية" سنة 1794م. ظهرت العديد من الأعمال المهمة في القرن السابع عشر، ويُعتبر باروخ سبينوزا أحد أعمدة عصر التنوير. كتب "رسالة في إصلاح العقل"، بينما كتب ديفيد هيوم "رسالة في الطبيعة البشرية" و"مبحث في الفاهمة البشرية" و"مبحث في الأخلاق". كما كتب جون لوك "رسالة في التسامح".

وجسد أدباء عصر الأنوار قيم هذه الحركة ومبادئها؛ حيث تأثر بها العديد من الكتّاب المشهورين مثل: فولتير وروسو ومونتيسكيو وديدرو وغيرهم. تناولت أعمالهم مواضيع مثل العدالة، وحقوق الإنسان، والتعليم، والتحرر من القيود الاجتماعية والدينية بشكل منطقي وموضوعي. يُعدّ شكسبير من رواد هذه الحركة، حيث رسم صورا دقيقة للطبيعة البشرية وتناقضاتها،

وركز على تحليل الشخصيات والأحداث بطريقة واقعية. وتناولت أعماله العديد من المسائل الأخلاقية والفلسفية التي تشجع على التفكير العقلاني والتحليل النقدي، كما أظهر أعمق الأفكار والمشاعر التي تؤثر في سلوك الشخصيات.

## العقل الغربي في مواجهة الآخر:

منذ ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية وما أفرزه من واقع حضاري جديد وقيم مغايرة لقيم العالم الغربي، نشأ خلاف بين العالم الإسلامي والعالم الغربي تمثل في الصراع الفكري الذي لا يكاد يهدأ. زادت حدة هذا الصراع بانهيار الحضارة العربية والإسلامية والمتمثل في سقوط الخلافة العثمانية، وبداية صعود الغرب إلى الواجهة. تعرض الشرق لحملات تشويه منظمة في الكتب والدراسات الاستشراقية ومختلف الموسوعات العلمية والفلسفية، بالإضافة إلى الأدب في عصر التنوير، الذي تناول قضايا الشرق. تُعدّ مسرحية "عطيل" واحدة من الأعمال الأدبية التي تناولت الشرق بطريقة رمزية وغير مباشرة، وهدفت إلى إثارة قضية الصراع بين الغرب والشرق.

يعتقد القارئ لمسرحية "عطيل"، أنها تتمحور حول شخصية البطل "عطيل"، وهذا ما يعكسه عنوانها على الأقل. غير أن العنوان يخيب أفق المتلقي؛ إذْ بمجرد أن تقرأها وتتعمق في أحداثها، تكتشف أن العقل الذي يحرك الأحداث ويصنع المشاهد الآسرة وينسج تفاصيل هذه القصة هو "ياجو".

وبما أن "ياجو" شخصية من البندقية، فهو يمثل العقل الغربي بامتياز، والذي تمت إهانته عندما اختير "عطيل" لقيادة الجيوش. رغم ذلك، يظل "ياجو" صامتا لا يظهر أي ردة فعل فورية. بدلا من ذلك، يتسم بالوعي والتأني ويقرأ الوضع بعناية، ويتعامل بذكاء مع الواقع الذي فرض عليه، ويظهر قدرا كبيرا من السيطرة على عواطفه، ليبدأ في وضع خطة مناسبة للإطاحة بخصمه، يقول: "إنما أتبعه "يقصد عطيل" لأنتقم منه، لا نستطيع جميعنا أن نكون سادة، ولا طاقة لجميع السادة أن يجدوا قدما آمنا" (وليام و خليل، عطيل، 1991، ص 20). في هذا الإطار، ركز تيار الأنوار –في سعيه لتقصي الحقيقة– على استبعاد العواطف، مثل الغضب الذي قد يدفع الفرد لارتكاب الحماقات، والحزن الذي يمنع العقل من رؤية الأشياء على طبيعتها ويعيق النظر بعمق في منطقية الأحداث، يقول سبينوزا: "لابد قبل كل شيء من التفكير في وسيلة لشفاء العقل وتطهيره حتى يوفق في إدراك الأمور على أحسن وجه" (سبينوزا و جلال الدين، 1990، ص 31). بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تكون معرفتنا بطبيعة الأشياء شاملة وكافية للاقتراب من اليقين واستخلاص ما يلزم. كما يجب تجنب الأحكام المسبقة التي تفتقر إلى البراهين والأدلة، وعدم اعتبار أي شيء حقيقي إلا ما كان واضحا ومميزا."إن معرفتنا بحقيقة الأشياء تظل محدودة تبعا لدرجة الوضوح" (بيتر، بيتر، فرانز، و جورج، 2003، ص 119).

عندما تمكن "ياجو" من إخفاء مشاعر الكراهية نحو "عطيل"، عُدَّ ذلك عاملا حاسما في رسم خطة ناجحة للإطاحة بخصمه. ورغم المرارة التي شعر بها، نجح في إظهار نفسه "لعطيل" كصديق موثوق به يمكن الاعتماد عليه، يقول: "يشهد الله أنني لا أوقره ولا أطيعه غير أنني أداجيه بالتوقير والطاعة توسلا بهما إلى أغراضي هذه خطتي وهي الكتمان، فإذا جاء زمان باح فيه ظاهر للرجل ببعض ما في باطني" (وليام و خليل، عطيل، 1991، ص ص 20 ـ 21). من المؤكد أن "ياجو" بات يعرف تماما طبيعة عطيل من الناحية العقلية والنفسية والثقافية، ويعرف –أيضا– طبيعة المجتمع الأوروبي الذي يعيش فيه، ولذلك ركز بشكل خاص على ظروف زواج "عطيل" من "ديدمونة" والطريقة التي جرى بها. فقد استغل العنصرية المتجذرة في تلك البلاد، حيث تبرز الاختلافات في لون بشرته وكونه غريبا عن تلك الأرض. قام بتحريض والدها على رفض هذا الزواج، وكان هدفه أن تقوم سلطة البلد بتنحيته من منصبه وطرده إلى وطنه. لم تنجح خطة "ياجو" في تهديد "عطيل"

وتقويض مكانته القيادية، لكنه استطاع أن يغرس الشك في قلبه من خلال إظهار خيانة "ديدمونة" لوالدها عندما اختارت الرحيل مع "عطيل".

أما "عطيل"، الذي يمثل العقل الشرقي المنفعل والغافل عما يجري حوله، فإنه لم ينتبه إلى المكيدة التي بدأ "ياجو" بتنفيذها. كان يعتقد أن إخلاصه للبلد الذي يعيش فيه هو أكبر دليل على صفاء سريرته ونقاء طويته، مما يجعله في مأمن من أي إساءة قد تأتيه من الحاسدين والحاقدين عليه. أعدَّ "ياجو" خطة محكمة لخلق عالم من الوهم والشك عند خصمه:

ـ وظف عقله بشكل إستراتيجي ولم يدع العواطف تتحكم في تصرفاته. حيث تمكن من رسم خطة محكمة، مستفيدا من ظروف الواقع، يقول: "ثم إنه لو لم تكن في ميزان أعمارنا كفة من العقل لمعادلة كفة الشهوة، لكانت خسة طبائعنا تدفعنا إلى أوخم العواقب، غير أننا رزقنا العقل لإخماد ثورة غضبنا وتسكين لواعج أمانينا البدنية وكبح شهواتها التي لا لحم لها" (وليام و خليل، عطيل، 1991، ص 43).

ـ كان يعرف أن عطيل من المغاربة وهم متقلبون في أهوائهم، عاطفيون لا يجيدون الصبر.

ـ استفاد من الصراع القائم بين عطيل وأحد قادته لإشعال نار الفتنة بينهما وتحقيق أهدافه الشخصية.

ـ خلق الشكوك في قلب "عطيل" بشأن علاقة محرمة بين "كاسيو" وزوجته.

واللافت في مسرحية "عطيل" أن الكاتب جعل من العقل العربي عقلا سلبيا؛ فهو يتلقى الأحداث دون أن يكترث لها ودون أن تشكل له موضوع بحث واستقصاء، ما جعله يقع ضحية سهلة في حبائل العقل الغربي، الذي عرف كيف يستفيد من نقاط ضعف خصمه حتى ولو كان هذا الخصم يعتلي أقوى الجيوش في العالم.

لم يستخدم عطيل عقله في تفسير الأحداث التي وقعت له من قبل ياجو، وكان كل همه أن يظهر على أنه صاحب أخلاق عالية وأنه قدم لهذه البلاد الكثير من الأعمال الجليلة التي رفعته إلى المنصب الذي هو فيه. "كلا يجب أن يروني بحقيقتي كما تظهرها لهم أخلاقي وألقابي وطهارة ذمتي" (وليام و خليل، عطيل، 1991، ص 28). إن السطحية التي ميزت العقل العربي في تعامله مع الأحداث جعلت "عطيل" يكتفي بالنظر إلى تلك الأحداث بطريقة ساذجة، معتقدا أن ذلك يكفي لحمايته من أي شرور قد تصيبه.

ابتلع "عطيل" القصص المختلقة والأخبار الزائفة التي حاكها "ياجو" دون أن يعلم بأنه وقع ضحية سهلة لعالم الوهم والشك وهو يعيش داخل سياق هذه الأحداث، كما فشل في ربط الأحداث ببعضها. وبدلا من ذلك، قدم تفسيرات غير منطقية تستند إلى الخيال والأسطورة. يعتقد فرنسيس بيكون أن هناك أمراضا تمنع الأشخاص من استخدام عقولهم بشكل صحيح وفعال وهو ما أطلق عليه "بأوهام الكهف التي هي أوهام كل فرد، لأن كل إنسان– بالإضافة إلى الأخطاء العامة لدى الجنس البشري– له كهفه الخاص أو غاره الذي يعترض ضوء الطبيعة أو يفسده، سواء بموجب وضعه الخاص الفردي، أم ثقافته واتصاله بالآخرين" (حبيب، فلسفة فرنسيس بيكون، 1981، ص 124)، وهذا يعني أن النفس البشرية قادرة على تشكيل مشاعرها وأفكارها بناء على إرادتها، بغض النظر عن الواقع الموضوعي.

وما زاد مشكلة "عطيل" سوءا أنه يفتقد إلى المهارة اللغوية التي تمكنه من التواصل مع خصومه بفعالية. فهو غير قادر على التعبير بشكل مؤثر عن أفكاره ومشاعره، مما يجعله عرضة للتلاعب بالكلمات. وليس له القدرة على صياغة الحجج القوية واستخدام اللغة بشكل استراتيجي للدفاع عن نفسه وإظهار حقيقة الأمور. هذا النقص في مهارة اللغة يضعه في موقف صعب عند مواجهة الاتهامات، "إنني خشن في مقالي وغير حاذق في صناعة المخاطبة باللسان السلمي العذب، ذلك

لأن هاتين الذراعين منذ بلغتا مبلغيهما السنة السابعة بعد مولدي إلى مبدإ التسعة الأهلة الأخيرة من عمري، لم تألفا من الرياضة أجمل مما ألفتا منها حيال الفلوات المضروبة فيها الخيام وفيما عدا وقائع الحرب والجلاد لا أجد شيئا ينطلق به لساني إلا اليسير من أحوالي" (وليام و خليل، عطيل، 1991، ص 34). يشير الكاتب إلى أن العقل العربي، الذي يركز فقط على الحروب، سرعان ما يفقد القدرة على التواصل والعلم والتفكير العقلاني، مما يجعله عقلا همجيا.

ومما يُلاحظ في المسرحية وأحداثها أن "عطيل" لم يستخدم قدراته العقلية بشكل كامل. يعكس ذلك وجهة نظر شكسبير حول العقل العربي ككيان بدائي وهمجي يعتمد بشكل أساسي على القوة في التعبير عن الذات، دون اللجوء إلى التفكير النقدي وتحليل الأحداث. في إشارة منه إلى أن العقل العربي عاش من خلال الحروب ووسع إمبراطوريته حتى وصل إلى بواتيه في جنوب فرنسا.

من جهة أخرى، يشير فرنسيس بيكون إلى صعوبات إضافية تواجه العقل البشري في رؤية الأحداث وتفسيرها بالشكل المناسب، وهو ما ينطبق أيضا على العقل العربي، يقول: "إن الإنسان يكون أكثر ميلا لتصديق ما يفضله وهو عندئذ يرفض المسائل الصعبة، لأن الصبر في البحث يعوزه ويرفض الاعتدال لأنه يحلل آماله ويرفض أعماق الطبيعة لأن الخرافات تمنعه من ذلك. ويرفض ضوء التجربة بسبب الغطرسة والتكبر وحتى لا ينشغل عقله بموضوعات شائعة ومتغيرة ويرفض التناقضات خوفا من رأي العامة" (حبيب، فلسفة فرنسيس بيكون، 1981، ص 122). يميل الإنسان إلى التعامل مع الحقائق فقط من خلال ما يفضله أو ما يتناسب مع آرائه. وقد تؤدي المسائل الصعبة إلى تجنب النظر فيها، بسبب افتقاره للصبر والقدرة على البحث العميق. كما يرفض الاعتدال في الأحكام لأنه قد يتعارض مع أهدافه. بالإضافة إلى ذلك، يتمسك بالخرافات؛ حيث يفضل قبول المعتقدات غير المنطقية بدلا من مواجهة الحقائق العلمية.

## بين العقل الغربي (المادي) والعقل العربي (الغيبي):

قامت مسرحية عطيل على شخصيتين بارزتين متصارعتين فيما بينهما، مثلت شخصية "ياجو" العقل الغربي الذي تربى على مبادئ وقوانين حركة الأنوار التي تؤمن بأهمية العلم والمعرفة وحرية التفكير والتعبير والاختيار في تحسين الحياة البشرية وتحقيق التقدم. ومثلت شخصية عطيل العقل العربي، العقل الذي مازال يعيش في الأوهام وغير قادر على فهم ما يجري حوله من وقائع وأحداث، وهذا من وجهة نظر الكاتب. وهو عقل غريب، تقول دوريندا أوترام: "إننا ومن عدة نواح يمكننا أن نرى روبنسون كروزو كان هو المثل الحاضر في الوعي للعلاقة بين التنوير في أوروبا وبين باقي العالم. إن الخبرة بغير الأوروبي أي بالبلاد المختلفة وبالمناخ والناس، والتي توصف كلها بخبرة الغريب كانت قد سبق وأن رسخت في القرن الثامن عشر" (دوريندا و ماجد موريس، 2008، ص 198). يمثل روبنسون كروزو شخصية خيالية في رواية دانييل ديفو، ويُعتبر رمزًا للعقل الأوروبي الذي يستكشف العوالم المجهولة. يتعامل كروزو مع التحديات التي تواجهه ويظهر كيفية تفاعله مع الثقافات المختلفة.

بينما قطع العقل الغربي تقدماً كبيراً في سعيه لاكتساب المعرفة وكشف الحقائق في العالم الذي نعيش فيه حتى أضحى العلم بالنسبة إليه سبيلا للوصول إلى المجهول، ذلك لأن "المعرفة البشرية والسلوك هي ثمرة التربية والتعليم من خلال التجربة الحسية والاجتماعية" (ليود، أندرزيجي، و إمام، أقدم لك عصر التنوير، 2005، ص 100). أما العقل العربي، الذي يؤمن بالدين والغيبيات، فهو يواجه صعوبة في استثمار قدراته الفكرية بشكل فعّال وغالبا ما يستسلم للأحكام الجاهزة.

بالمقابل، يتميز العقل الغربي بحريته واستقلاليته الفكرية، وهذا يعني أن "الإنسان الطبيعي هو إنسان يعمل تحت ضغط الأسباب التي تتكشف لنا عن طريق حواسنا، وأما الإنسان الأخلاقي فهو إنسان يعمل من خلال أسباب فيزيقية لا تتكشف لنا على نحو مباشر" (ليود، أندرزيجي، و إمام، أقدم لك عصر التنوير، 2005، ص 103).

في مسرحية شكسبير، يتضح أن "ياجو" يستخدم العقل وسيلة لفهم مشكلته ويقوم بوضع خطة مناسبة لتحقيق أهدافه. بالمقابل، يقوم عطيل بتفسير الأحداث التي يواجهها بطريقة غيبية، حيث يعتبر ضياع المنديل الذي أهدته أمه إليه وأهداه إلى ديدمونة دلالة على انفصاله عن زوجته. بينما"المذهب العقلي يميل إلى أن يَبعُد الله وما ليس بالطبيعي من الكون. ولا يُبقي المذهب إلا على الطبيعي، الذي يعتقد معتنقوه أن من الممكن فهمه في النهاية" (كرين و محمود، أفكار ورجال، 2020، ص 340). يركز العقل الغربي على العقل والمنطق في تفسير الظواهر ويتجاوز الفهم الغيبي كوجود الله أو القوى غير الطبيعية في الكون. ويعتقد أن كل شيء يمكن تفسيره من خلال القوانين الطبيعية والظواهر المادية. ويعتبر العقل الأداة الأساسية لفهم الكون وما يحدث فيه من ظواهر طبيعية وسلوكات بشرية.

كما استبعد العقل الغربي القضايا الأخلاقية في تعامله مع الآخر، مما جعل خطة "ياجو" مصممة بشكل لا يتضمن أي مبادئ أخلاقية تجاه "عطيل". وهذا ما يظهر في الحروب والصراعات التي خاضها الغرب، ويخوضها، مع الآخرين دون وجود وازع أخلاقي أو ديني يمنع هذه الهمجية.

لقد أصبحت قاعدة "الغاية تبرّر الوسيلة" (مكيافللي و أكرم، 2004، ص 91)، من أهم القوانين التي أصدرها الغرب في مواجهته للآخرين. حيث يتم التركيز على النتائج النهائية وليس على الوسائل المستخدمة (غير الأخلاقية أو القاسية)، من أجل تحقيق الأهداف المرجوة. يتفق كتاب الأمير لمكيافيللي مع العقلانيين في رفض فكرة وجود أي شيء خارق للطبيعة أو تدخل إلهي في شؤون الناس اليومية. إنه يتجاهل فكرة وجود إله وراء النظام الكوني، "في الواقع إننا مَدينون بالكثير لمكيافيللي لأنه أنبأنا بما يفعل الناس بدلا من أن ينبئنا بما ينبغي للناس أن يفعلوه. وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول إن جانبا على الأقل من عمل مكيافيلي هو من نوع العمل الذي يقوم به العالم الطبيعي؛ فهو ينبني على الملاحظة، وعلى جمْع الحقائق، باعتبار ذلك نقطة البداية في كل تفكير في الموضوع" (كرين و محمود، أفكار ورجال، 2020، ص 359). يقدم مكيافيللي رؤية واقعية للسلوك البشري، حيث يجب أن يعتمد على الملاحظة وجمع الحقائق كخطوة أولى في التفكير، بدلا من تفسيره بطريقة غيبية. "صار العقل وحده قادرا من خلال تعرفه على حقائق واضحة، مميزة، وبديهية، على بلوغ معرفة يقينية" (ريتشارد و فاضل، 2008، ص 397). يمكن للإنسان الذي يستخدم عقله بشكل منهجي ومنطقي أن يحلل المعلومات ويميز بين الحقائق، مما يؤدي إلى فهم أعمق وأشمل لطبيعة المشكلة. وهذا يعني أن للتفكير النقدي دورا في المعرفة الصحيحة.

لقد "شك فولتير وغيره من فلاسفة التنوير في الحقائق التي يدافع عنها اللاهوتيون ورغم ذلك شعروا بأن الدين من المحتمل أن يكون له ضرورة اجتماعية، فالخوف من جهنم والعقاب الأزلي لا يزال يملك أداة مؤثرة في الضبط الاجتماعي" (ليود، أندرزيجي، و إمام، أقدم لك عصر التنوير، 2005، ص 126). وإذا كان الدين غير قادر على تقديم تفسيرات مقنعة لما يحدث في الواقع، لأنه يفتقر إلى المنطق والنظرة التحليلية للأحداث، فإنه –مع ذلك– يسهم في الضبط الاجتماعي من خلال وسائل مثل التخويف بالعقاب الأبدي.

## أين هو العقل العربي؟

رغم أن شكسبير أخذ موقفا سلبيا من العقل العربي، باعتباره ينتمي إلى منظومة قيمية تستبعد الآخر وتراه غريبا عن منظومتها الفكرية، بل ويشكل خطرا على الغرب، فإن محمد عابد الجابري يعبر عن هذا الرأي أيضا بقوله: "إن العقل الأوروبي لا يعرف الإثبات إلا من خلال النفي، وبالتالي لا يتعرف إلى الأنا إلا عبر الآخر، وهذا شيء معروف في الفكر الأوروبي منذ القدم" (محمد عابد، 2012، ص 173). وهذا يشير إلى أن العقل الغربي يعتمد على خلفية من التصادم وإقصاء الآخر، حيث لا يهتم بالتعايش بسلام مع العقول المختلفة عنه.

جعل شكسبير في مسرحيته الشخصية الرئيسية "عطيل" يقتل زوجته ليعكس قيمه الثقافية التي تستنكر خيانة النساء. ومع ذلك، لا يعكس هذا ما يود الكاتب قوله؛ حيث يعتقد أن العقل العربي والقيم التي يمثلها "عطيل" يمكن أن تهدد قيم العقل الغربي، الذي ناضل من أجل استعادة حريته في التفكير والتحرر من التقاليد القديمة. بناء على ذلك، يتبنى الكاتب وجهة نظر تعتبر العقل العربي بدائيًا وهمجيا وغير صالح للتعايش. تعتبر وجهة نظر شكسبير الناقدة للمنظومة العقلية العربية غير مبررة، ويمكن تفسيرها على أنها تسعى لفرض الهيمنة على الآخرين، مع اعتبار النموذج الفكري الغربي هو النموذج الوحيد الذي ينبغي على بقية العالم إتباعه.

وإذا عدنا إلى المنظومة العقلية العربية، فإن الإسلام لم يمنع التفكر في القوانين والسنن الكونية، لأن الله يدعونا إلى التمعن والنظر والتبصر واستخدام الحواس وإعمال العقل لاكتشافها. "الإسلام لم يوصد الباب، أمام المعرفة المفيدة النافعة للإنسان، بل شجع، وحث على طلبها. والقرآن الكريم والتشريع والسلوك والحقائق العلمية، تمثل نسقا من المعطيات المعرفية، هزت عقل الإنسان وفجرت ينابيعه وطاقاته" (عبد الرحمن، ص ص 83-84)

وعندما جاء الإسلام أمر أتباعه، بأن يُعملوا عقولهم وألا يكونوا مجرد أتباع لغيرهم، يقول عباس محمود العقاد: "الإسلام لا يقبل أن يُلغي عقله ليجري على سنة آبائه وأجداده، ولا يقبل منه أن يلغي عقله خنوعا لمن يُسخره باسم الدين في غير ما يرضي العقل والدين، ولا يقبل منه أن يلغي عقله رهبة من بطش الأقوياء" (عباس، ص 8).

في النهاية، لا ينبغي أن تؤدي الاختلافات بين العقل العربي والعقل الغربي إلى إشعال الحروب، بل يمكن لهما أن يتعايشا معا. وقد أشار إلى ذلك مالك نبي في قوله: "تبدو أوروبا خارج الظاهرة الدينية، كما لو أن طبيعة الأوروبي الممتلئة بآدميته لا تدع مجالا للألوهية. بالمقابل فإن الرجل السامي يبدو مهيئا للفكرة الغيبية" (مالك، 2018، ص 18)، الاختلافات بين العقلين الغربي والعربي تدعو إلى التكامل والتعايش بدلا من الصراع والسعي لفرض الهيمنة على الآخر. العقل العربي يسعى لاستكشاف الجوانب الروحية والغيبية في الحياة، في حين يركز العقل الغربي على الجوانب المادية والعلمية. يمكن أن يتمما بعضهما البعض ويستفيدا من توجهاتهما المختلفة للوصول إلى فهم أعمق وشامل للعالم والإنسانية.

## الخاتمة

من خلال هذه الدراسة التي تناولت فيها: سعي شكسبير لإبراز دور العقل الغربي، الذي نشأ على قيم حركة الأنوار، في صراعه الأزلي مع العقل العربي، يمكن استخلاص النتائج كما يلي:

ـ ظهر العقل الغربي في المسرحية كعقل علمي يعتمد على الملاحظة وجمع المعلومات بهدف الوصول إلى أفضل تفسير للظواهر، ورسم الخطط، وابتكار الحلول المناسبة.

ـ استبعد العقل الغربي الجانب الأخلاقي في تعامله مع "العقل العربي"، حيث استخدم طرقًا غير شريفة مثل خلق عالم من الوهم والشك لتضليل خصمه وإرباكه. وهذا أمر طبيعي، إذ يعتمد الغرب على الجانب المادي لفهم الظواهر الطبيعية وتفسير السلوكيات البشرية، مما يجعله يقصي الجانب الروحي في تعاملاته مع الآخر. وهذا ما يميز العالم الغربي اليوم في صراعه مع غيره، إذ يستخدم أساليب غير إنسانية لتحقيق أهدافه.

ـ أما العقل العربي، فيصوّره شكسبير كعقل ساذج وبدائي وهمجي، يعتمد على التفسيرات الغيبية من أساطير وخرافات في فهم الأحداث وترتيبها.

ـ اعتمد العقل العربي على الجانب الأخلاقي لتبرير صراعه مع العقل الغربي، دون أن يدرك المشكلة الحقيقية التي وقع فيها، مما جعله غير قادر على تقديم الحجج المقنعة للدفاع عن نفسه ضد الاتهامات الملفقة والباطلة التي وُجهت إليه.

ـ يفتقد العقل العربي إلى اللغة، التي تُعد وسيلة مهمة في إدارة الصراع. ويعتقد شكسبير أن من يُقبل على الحرب يفقد أحد أهم مظاهر الحضارة، وهو اللغة، التي تمكّن الإنسان من الفهم والتمييز وبناء المعارف.

ـ يصوّر العقل الغربي كعقل تصادمي ينحاز للسيطرة واستبعاد الآخر.

ـ ينبغي أن يتوقف العقل الغربي عن فرض الهيمنة واستصغار الآخر، وبدلاً من ذلك، يجب أن يدعو إلى التعايش السلمي بين مختلف الثقافات.

**لمحة حول الكاتب**

**بختـي البشـير**: باحث أكاديمي من جامعة المسيلة في الجزائر، مكلف بتدريس النص الأدبي الحديث والمعاصر. لديه مقالات، منها "صراع الهويات في رواية الغريب لألبير كامو"، و"من الأديان إلى الأنسنة. والتفسير والتأويل بين محمد الطاهر بن عاشور وبول ريكور". كما شارك في الملتقيات الدولية والوطنية، منها الملتقى "حول مرفولوجيا الشعر من منظور الاتجاه الشكلاني. https://orcid.org/0000-0002-4368-2086

**التمويل:** هذا البحث غير ممول.

**شكر وتقدير:** لا ينطبق.

**تضارب المصالح:** يعلن المؤلفون عدم وجود أي تضارب في المصالح.

**الأصالة:** هذه البحث عمل أصلي.

**بيان الذكاء الاصطناعي:** لم يتم استخدام الذكاء الاصطناعي أو التقنيات المدعومة بالذكاء الاصطناعي

## المراجع:

الجابري محمد عابد. (2012). مركز دراسات الوحدة العربية. لبنان: مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب.

الشاروني حبيب. (1981). فلسفة فرنسيس بيكون (المجلد 1). الدار البيضاء،، المغرب: دار الثقافة.

الطريري عبد الرحمن. العقل العربي واعادة التشكيل (المجلد 1). قطر: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية.

اوترام دوريندا، و إبراهيم ماجد موريس. (2008). التنوير (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الفارابي.

باروخ سبينوزا، و سعيد جلال الدين. (1990). رسالة في اصلاح العقل. تونس: دار الجنوب للنشر.

برنتن كرين، و محمود محمود. (2020). أفكار ورجال. القاهرة، مصر: مؤسسة هنداوي.

بن نبي مالك. (2018). مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي (المجلد 15). دمشق، سوريا: دار الفكر.

تارناس ريتشارد، و جتكر فاضل. (2008). آلام العقل الغربي (المجلد 1). السعودية: العبيكات.

سبنسر ليود، كروز أندرزيجي، و عبد الفتاح إمام. (2005). أقدم لك عصر التنوير (المجلد 1). مصر، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

شكسبير وليام، و مطران خليل. (1991). عطيل. بيروت، لبنان: دار نظير عبود.

كانط إيمانويل، و بن جماعة محمود. (2005). تأملات في التربية، ما الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟ صفاقص، تونس: دار محمد علي للنشر.

كونزمان بيتر، بوركارد بيتر، فيدمان فرانز، و كتورة جورج. (2003). أطلس الفلسفة (المجلد 11). لبنان: المكتبة الشرقية.

محمود العقاد عباس. التفكير فريضة إسلامية. الجزائر: مكتبة رحاب.

نيكولا مكيافللي، و مؤمن أكرم. (2004). الأمير. القاهرة، مصر: مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع.

**الاستشهاد بالمقال**

بختي بشير.(2025) . العقل الغربي والآخر (الغريب) في مسرحية "عطيل" لوليام شكسبير. *مجلة أطراس*، *6*(2)، 655-665